مسائل نافع بن الازرق بين الحقيقة والاسطورة

عباس علي حسين الاوسي

تربية ميسان

د. مؤيد فيصل ربيع

كلية القانون - جامعة كربلاء

التمهيد :

ابن عباس :

حبر الأمة وترجمان القرآن ، ولد في الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين ، فكان عمره عند وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) ثلاث عشرة سنة ، وقد دعا له الرسول (صلى الله عليه وآله) بقوله : (اللهم علمه الكتاب والحكمة)^(١).

لازم بيت النبوة ، ورياه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فأحسن تربيته ، و كان من المتقانيين في ولائه ، ومن أبرز تلامذته ، قال : (ما اخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب)^(٢) وله مواقف مشهودة مع أمير المؤمنين (عليه السلام) في جميع حروبه : صفين ، الجمل ، النهروان^(٣).

وهو القائل : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب ! الذي كان فيه

(١) تفسير الثعالبي : ١ / ٥٦ ، و ينظر أسد الغابة لابن الأثير ٣/١٩٢ - ١٩٥ والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني : ٢/٣٣٠ - ٣٣٤ .

(٢) تفسير الثعالبي : ١/١٤١ .

(٣) ينظر أسد الغابة : ٣/١٩٢ - ١٩٥ و الإصابة : ٢ - ٣٣٠ - ٣٣٤ .

فصل الخطاب) ، وقوله أيضا : (يوم الخميس وما يوم الخميس) ، إلى غير ذلك مما لا حصر له^(١) وكان الأئمة (عليهم السلام) يحبونه حباً جماً ، ويعظمون شأته ويشيدون بذكره ، فقد روى المفيد في كتابه الاختصاص (بإسناده إلى الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال : (كان أبي يحبه حباً شديداً وقد كف بصره بعد واقعة الطف سنة (٦١هـ)؛ لكثرة بكاته على مصائب أهل البيت (عليهم السلام) ، وفي رواية أخرى أنه كف بصره قبل وفاته بسنة^(٢) .

وقد ذكرت أحاديث تتضمن قدحاً فيه ، وهو أجل من ذلك ، ويحث النقاد عن روايات القدح ، لا سيما رواية هروبه ببيت مال البصرة ، وتعنيف علي (عليه السلام) له لفعله ذاك ، فخرجوا بدلائل الوضع ، وحمل هذا الجرح بعد تضعيف الإسناد على الحسد ، وقد صدر عن الحاسدين الحاقدين عليه ؛ كان الرجل ممقوتا عند رجال السلطة الحاكمة الأموية ، إذ كان يجابههم بصراحة وصرامة ، وكان من الخمسة الذين يلعنهم معاوية في قنوته، وهم علي والحسن والحسين وابن عباس والأشتر^(٣) .

وانه لم يبرح البصرة حتى استشهاد الإمام علي (عليه السلام) ، وكان من المحرضين البيعة الإمام الحسن (عليه السلام) ، وبعد أن تم الصلح اضطر إلى المغادرة إلى بيت الله الحرام، وقد توفي الله بالطائف سنة (٦٨ هـ)^(٤) .

(١) ينظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ٥٤-٢-٥٥ .

(٢) ينظر بحار الأنوار : ٨٩/١٠٥ .

(٣) ينظر التحرير الطاوسي للشيخ حسن بن زين الدين : ٣١٢ - ٣١٧ ، و شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ١٥/٩٨ .

(٤) ينظر قاموس الرجال : ٦٥-٦/٢ .

منهجه في التفسير:

لم تمض السنوات العشر بعد وفاة الرسول ، إلا وتراه قد تفرغ للتفسير واستنباط معاني القرآن ، وقد حدد معالم منهجه في التفسير بقوله : (التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بالجهالة به، وتفسير بعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله)^(١) .

وفي رواية عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : (أنزل القرآن على أربعة أحرف : حلال وحرام لا يعذر أحد بالجهالة به ، وتفسير نفسره العرب ، وتفسير تفسره العلماء ، ومتشابه لا يعلمه إلا الله)^(٢) وفي ضوء هذا التقسيم الرباعي اعتمد في تفسيره على:

١-النظر في القرآن نفسه لتوضيح الآيات بعضها ببعض ، من ذلك ما رواه السيوطي بأسانيدِهِ إلى ابن عباس في قوله تعالى : (قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَيْنِ وَأَحْبَبْتَنَا اثْنَيْنِ) (غافر : ١١) ، قال : كنتم أمواتاً قبل أن يخلقكم ، فهذه ميتة ، ثم أحياكم ، فهذه حياة، ثم يميتكم فترجعون إلى القبور فهذه ميتة أخرى ، ثم يبعثكم يوم القيامة ، فهذه حياة ، فهما مبيتان وحياتان ، فهو كقوله تعالى : كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تَرْجَعُونَ) (البقرة : ٢٨)^(٣).

(١) جامع البيان للطبري : ١/٢٦ ، وينظر مجمع البيان للطبرسي : ٤٠١ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه : ٣١ ٢٤ ، والدر المنثور للسيوطي ٥/٣٤٧ ، وينظر مجمع البيان : ١٨ / ٤٢٨ .

٢- مراعاة أسباب النزول : فلها دورها الخطير في فهم معاني القرآن:

إذ نزلت الآيات والسور نجومًا ، في مند وأمر مختلفة ، فترتبط الآية ارتباطا وثيقا بهذه المناسبة الخاصة ، فكان يتحرى أسباب النزول بدقة متناهية ، فعرف الحضري من السفري ، والنهاري من الليلي ، فيم انزل وفيمن أنزل ، وأول ما نزل وآخر ما نزل^(١).

٣- اعتماد المأثور من التفسير المروي : من ذلك ما اثر عن الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وأله (عليهم السلام) وأصحابه المنتجبين ، وما قوله : (ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب)^(٢) ، إلا إشارة واضحة لهذا الاعتماد.

٤- اضطلاع بالغة والأدب:

القرآن الكريم قمة اللغة العربية فصاحة ، وبلاغة ، وتنوعاً في اللهجات ، فقد يحتاج العربي من بيئة لغوية ما إلى تفسير بعض الألفاظ والتعبيرات ودلالاتها ، كذلك أصحاب الفرق السياسية والمذهبية ، فكانوا يبحثون فيه عن نصوص تؤيد ما يذهبون إليه من معتقدات

وكان ذلك منذ عهد الرسول صلى الله عليه وآله) ، فقد كان المسلمون يسألونه عما يُغرب عنهم من دلالات بعض ألفاظ القرآن الكريم ، من ذلك ما روي عن ابن عباس ، أنه قال : (سأل رجل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، قال : (أرأيت قول الله : كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ) (الحجر : ٩٠) ، قال : (اليهود والنصارى) ، قال : (الَّذِينَ جَعَلُوا

(١) ينظر الإتقان للسيوطي : ١/٥٧٥١ و ٦٠-٦٤ و ٦٨-٧٦.

(٢) تفسير الثعالبي : ١/١٤١.

القرآن عظيم) (الحجر: ٩١) ، قال : (آمنوا ببعض وكفروا ببعض)^(١).

ومثل التفسير اللغوي بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) اتجاهها رئيساً ، منه ما روي عن ابن مسعود قوله تعالى : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ) (النحل : ١٢٠) ، فقال : (الأمة الذي يعلم الخير ، والقانت : المطيع لله ولرسوله)^(٢) ، وفي قوله تعالى : (وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيبُونَ كَثِيرٌ) (آل عمران) ، قال : الريبون : الألف^(٣) ، وفي قوله تعالى : (إن إبراهيم لأواه حليم) (التوبة : ١١٤) ، قال : أواه : الدعاء^(٤) وفي قوله تعالى : (يُسْقُونَ مِنْ رَحِيقٍ مَحْتَمٍ) (المطففين : ٢٥) ، قال : الرحيق الخمر^(٥) ، ومنه قوله تعالى : (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً) (النحل : ٧٣) ، قال : (الحفدة : هم الأصهار)^(٦).

أما ابن عباس فقد برع فيه كثيراً ، وبعد أبرز الصحابة في تفسير غريبه ، وهو من سماه (غريب القرآن) ، قال : (إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر ، فان الشعر ديوان العرب)^(٧) .

(١) إيضاح الوقف والابتداء : ١/٦٢ . وينظر المستدرک للحاکم النیسابوری ٢/ ٤٩٩ ، والجامع الأحکام القرآن للقرطبي ١/٢٤ .

(٢) الدر المنثور : ٤/١٠٦ .

(٣) الكشف للمزمخشري : ٢/٣٤٨ .

(٤) جامع البيان : ٢٦٦/٧ .

(٥) المصدر نفسه : ٥٢٣/١٤-٥٢٤ .

(٦) المصدر نفسه : ٣٠-٦٧ .

(٧) المصدر نفسه : ٩٧/١٤ .

مسائل نافع بن الأزرق بين الحقيقة والاسطورة مشترك

وما سمي غريباً يمكن الوقوف على دلالاته بالرجوع إلى المعاجم وكتب اللغة والأدب ودواوين الشعر القديم ، فغرابتة تعود إلى أسباب منها تنوع مجالاتها الدلالية نتيجة تطورها التاريخي واستعمالاتها المجازية ، والمعاني المستحدثة لهذه الألفاظ والنكت اللطيفة التي تضمنتها ، أو نتيجة الاختلاف اللهجي

مسائل نافع بن الأزرق:

بعد ابن عباس أول من توسع في استخدام الشعر العربي في تفسير القرآن الكريم ، فما هو يقول :
(إذا سألتموني عن القرآن فالتمسوه في الشعر ، فان الشعر ديوان العرب)^(١).

وكان ذوقه الأدبي الرفيع ، وثقافته اللغوية العالية ، الدافع له في استخدام هذه الوسيلة ببراعة عند تفسيره ، وشرح غريب مفرداته ، قال عطاء : ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس أكثر علما وأعظم خشية ، وان أصحاب الفقه عنده ، واصحاب القرآن عنده ، وأصحاب الشعر عنده ، يصدرهم كلهم في واد واسع)^(٢) .

ولعل أشهر ما أثر عنه من باب اضطلاع به غريب القرآن واستعانت به بالشعر في تفسيره ، ما عرف بمسائل نافع بن الأزرق ، فقد ظهرت منها

(١) إيضاح الوقف والابتداء : ١ / ٦٢ .

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة : ٤/٩٢ .

قطعة في (إيضاح الوقف والابتداء)^(١) لابن الأنباري ، و (المعجم الكبير للطبراني)^(٢).

وقام محمد فؤاد عبد الباقي بطبع هذه المسائل في كتابه (معجم غريب القرآن)^(٣) ثم حققها الدكتور إبراهيم السامرائي ، وأصدرها في كتابه (سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس) وبلغ مجموعها فيه مئتين وخمسين سؤالاً ، وحققتها الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ، وضمنتها في كتابها (الإعجاز البياني للقرآن الكريم)^(٤).

ونافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري الوائلي الحروري أبو راشد رأس الازارقة الخوارج واليه نسبتهم ، وكان أمير قومه وفقههم والى الإمام على (عليه السلام) إلى أن كانت قضية التحكيم بين الإمام على (عليه السلام) وبين معاوية، وفي زمن يزيد بن معاوية قاتل إلى جانب عبدالله بن الزبير ، ثم تركه لموقف ابن الزبير المؤيد سيرة عثمان بن عفان ، وقد قتل في معركة الدولاب في الأحوار سنة (٦٥ هـ)^(٥).

ما حقيقة المسائل ؟

ان الاستعانة بالشعر في تفسير غريب القرآن الكريم ظهرت عند الصحابة ممن سبقوا ابن عباس ، إذ نقلت المصادر روايات كثيرة تؤكد هذا المنهج في توضيح ما يشكل عليهم من ألفاظ القرآن الكريم ، قال أبو

(١) ينظر : ٢٣٤-٢٩٢.

(٢) ينظر : ٢٦٧ - ٥٠٧ .

(٣) بنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤ / ١٣٦ ، والأعلام : ٧ / ٣٥١.

(٤) ينظر : ١/٧٦-٩٨.

(٥) ينظر : ١٠/٢٤٨-٢٥٧.

بكر بن الانباري : (جاء عن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وتابعيهم من الاحتجاج على غريب القرآن الكريم ومشكله باللغة والشعر ما بين صحة مذهب النحو بين في ذلك وأوضح فساد مذهب من أنكروا ذلك عليهم)^(١) غير أن هذه الظاهرة قد برزت جلياً في التفسير المنقول عن ابن عباس أكثر مما هي عليه عند من سبقوه ، وقد دفع ذلك الواضعين إلى التزيد في وضع الروايات ونسبتها إليه ، أو خلط الروايات المنقولة عن غيره مع ما نقل عنه ، قال أجنس تسيهر : (وبذلك المبدأ المنسوب إلى ابن عباس ، اقترنت على النمط العربي أسطورة مدرسية عظيمة الإفادة)^(٢) .

فالمسائل فيها شيء من الغرابة ، وجملة من الأدلة التي تقوي الشكوك في صحتها بالصورة التي رواها السيوطي في إتقانه ، والصنعة والتكلف الباد بين في نسجها ، منها :

١ . كان نافع بن الأزرق فقيه قومه ونسبة فرقة الأزارقة الخارجية إليه . والعرب أمة شعر ، والقصائد شاردة بين القبائل ، وفيها يلجأ الشعراء إلى اللغة العربية الفصيحة العليا أي النموذجية ، فكيف يخفى على ابن عباس وهذا الفقيه ما ذكر من أبيات؟ وما سؤاله ابن عباس إلا تعنتاً لا تفهماً ، وليست في غريب القرآن .

٢ . ان المسائل التي رويت في صحيح البخاري ، وإن لم يذكر اسم نافع فيها كانت أسئلة في المحكم والمتشابه ، فقد نقل عن المنهال عن سعيد قوله : (قال رجل لابن عباس : إنني أجد في القرآن أشياء تختلف علي ،

(١) إيضاح الوقف والابتداء : ١ / ٦١ .

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي : ٩٠ .

قال : (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بيئهم يومئذ ولا يتساءلون) (المؤمنون : ١٠١) (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) (الطور : ٢٥) (ولا يكتمون الله حديثا) (النساء: من الآية ٤٢) (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) (الأنعام: ٢٣) ، فقد كتّموا في هذه الآية ، وقال : (أم السماء بناها) (النازعات: من الآية ٢٧) إلى قوله: (نحاهها) (النازعات: من الآية ٣٠) ذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ، ثم قال: (إنكم لتكفرون بالذي) أأنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين) (فصلت: من الآية ٩) إلى طائعين) (فصلت: من الآية ١) ، فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء ، وقال تعالى : (وكان الله عفورا رحيماً) (النساء: من الآية ٩٦) (عزيزاً حكيماً) (النساء: من الآية ٥٦) (سميعاً بصيراً) (النساء: من الآية ٥٨) ، فكأنه كان ثم مضى ، فقال : (فلا أنساب بينهم في النفخة الأولى ثم ينفخ في الصور فصعق من السموات ومن في الأرض إلا ما شاء الله فلا أنساب بينهم عند ذلك ، ولا يتساءلون ، وأما قوله : ما كنا مشركين ولا يكتمون الله فان الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم ، وقال المشركون : تعالوا نقول : لم نكن مشركين فختم الله على أفواههم فتنتق أيديهم فعند ذلك عرف أن الله لا يكتّم حديثاً وعنده يود الذين كفروا الآية ، وخلق الأرض في يومين آخرين ثم دعا الأرض ونحوها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والجمال والأكام وما بينهما في يومين آخرين ذلك قوله : دحاها ، وقوله : خلق الأرض في يومين فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام وخلق السموات في يومين ، وكان الله عفورا سمى نفسه ذلك وذلك قوله أي لم يزل كذلك فان الله لم يرد شيئاً إلا أصاب به الذي أراد فلا

مسائل نافع بن الأزرق بين الحقيقة والاسطورة مشترك

يختلف عليك القرآن فان كلا من عند الله^(١) وروي في ذلك أيضا أن ابن عباس كان يوما في المسجد الحرام ، وعنده نافع بن الأزرق إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة، فاستنشه ابن عباس ، فألقى عمر بن أبي ربيعة رانيته المشهورة:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر
غداة عند أم رائح فمهجر

فلما أتى على آخرها غضب نافع وقال لابن عباس : (الله يا ابن عباس إنا نضرب إليك أكباد الإبل من أقاصي البلاد ونسألك عن الحلال والحرام فنتناقل عنا ويأتيك غلام من مترفي قريش فينشذك ...) ^(٢) ، فسأله عن الحلال والحرام ، وليس عن الغريب مع ما في الرواية من تناقض إذ أن سؤاله في الحقيقة ليس عن جهل أو إفادة بل لإحراج ابن عباس وإفحامه واس تظهارا لمذهبه وقد ارتبط تأويل القرآن والخلاف حول المحكم والمتشابه بالخلافات السياسية والعقائدية ويؤكد ابن عباس وقد ذكر عنده الخوارج وما يلفون عند القرآن، قال: يؤمنون بمحكمه ويهلكون عند متشابهه^(٣) ، أي يقيمون حدوده وفرائضه ، ولكنهم لا يعرفون منسوخه وتأويله.

وروي أن ابن عباس ذكر يوما الهدهد، فقال: يعرف الماء في الأرض فقال نافع بن الأزرق : قف قف يا بن عباس كيف تزعم أن الهدهد يرى

(١) صحيح البخاري: ٦/٣٦ ، وينظر تفسير القرطبي : ٤ / ١٢ هامش (٣) .

(٢) الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني: ١/٧٢-٧٣ .

(٣) جامع البيان : ٢/١٩٨ .

الماء من تحت الأرض وهو ينصب له الفخ فيذر عليه التراب فيصاد؟ ، فقال ابن عباس: لولا أن يذهب هذا فيقول كذا وكذا، لم اقل له شيئاً أن البصر ينفع ما لم يأت القدر ، فإذا جاء القدر حال دون البصر، فقال ابن الأزرق : لا أجادلك بعدها في شيء^(١) ، فابن الأزرق ممن تمسك بما تشابه عليه من آيات الكتاب وترك المحكم كالنصارى والخوارج وغيرهم إذ كان هؤلاء أخذوا بالمتشابه من كلام الله، وجعلوه محكما وجعلوا المحكم متشابها^(٢) .

وذكر الخطيب البغدادي أن نافع بن الأزرق جاء إلى ابن عباس ، فقال:

والذي نفسي بيده لتفسرن لي آيات من كتاب الله عز وجل أو لأكفرن به، فقال ابن عباس: ويحك أنا لها اليوم أي أي؟ قال : أخبرني عن قول الله تعالى: (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لاعلم) (المائدة : ١٠٩) وقال في آية أخرى ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق (الله القصص : ٧٥) فكيف علموا وقد قالوا : (لا علم لنا)؟ أخبرني عن قول الله تعالى : (ثم أنكم اليوم تختصمون) وقد قال (أتختصمون) وقال في آية أخرى : لا تختصموا لدي) (ق:٢٨) فكيف يختصمون؟ وقد قال : لا تختصموا لدي وأخبرني عن قول الله تعالى : (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم) (يس: ٦٥)، فكيف شهدوا وقد ختم على الأفواه ، فقال ابن عباس: ثكلتك أمك يا بن الأزرق أن للقيامة أحوالا وأهو الا أما قوله تعالى : (ثم أنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) (الزمر : ٣١)، فهذا وهم بالموقف يختصمون ، فيؤخذ للمظلوم

(١) ينظر كشف الخفاء : ٨٣/١ .

(٢) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير : ١٣ / ١٤٣ .

من الظالم ، وللمملوك من المالك، وللضعيف من الشديد ، حتى يؤدي كل ذي حق حقه فإذا أدى إلى كل ذي حق حقه أمر بأهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار فلما أمر بأهل النار إلى النار اختصموا ، فقالوا: ربنا هؤلاء أضلونا ... فيقول الله تعالى : (لا تختصموا لدي)^(١) ، ونقل عبد الرزاق عن الثوري عن عاصم عن أبي رزين قوله: (خاصم نافع بن الأزرق ابن العباس فقال : هل تجد الصلوات الخمس في القرآن؟ قال: نعم، ثم قرأ (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) (الروم: ١٧)المغرب والفجر و (عشبا) (الروم : ١٨) العصر (وحيث تظهرون) (الروم) : ١٨ (الظهر قال : ومن بعد صلاة العشاء) (النور : ٥٨)^(٢) .

واخرج ابن جرير عن عكرمة (أن) نافع بن الأزرق قال لابن عباس : تزعم أن قوما يخرجون من النار، وقد قال الله عز وجل: وما هم بخارجين منها) (المائدة : ٣٧) ، فقال ابن عباس: ويحك أقرأ ما فوقها هذه للكفار)^(٣) وذكر ابن جرير في موضع آخر أن نافع بن الأزرق خاصم ابن عباس في (الورود) (فقال ابن عباس : الورود الدخول ، وقال نافع: لا ، فقرأ ابن عباس: انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) (الأنبياء : ٩٨)، أورود هو أم لا؟ وقال: (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار ويئس الورود المورد (هود : ٩٨) ، أورود هو أم لا؟ وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك، قال: فضحك نافع)^(٤) .

(١) تاريخ بغداد: ٢٩٩/١٢ .

(٢) المصنف : ٢٥٤ / ١ .

(٣) جامع البيان : ٣١٠/٦ .

(٤) المصدر نفسه : ١٣٦/١٦ .

وفي (المستدرک) نقل الحاكم النيسابوري مسألة الهدد ، والصلوات الخمس ، وهذا يوم لا ينطقون (المرسلات (٣٥) ، و (فلا تسمع إلا همسا) (طه : ١٠٨) و (أقبل بعضهم على بعض يتساءلون) (الصفات : ٢٧) هاؤم اقرؤوا كتابيه) (الحاقة : ١٩)^(١) ، وفي (سبل السلام) وردت مسألة الملامسة وفسرها ابن عباس بالجماع^(٢) ، وجميع ذلك في المتشابه ولم يستشهد فيه ابن عباس بالشعر .

الخط بين الروايات، فقد نسب إلى ابن عباس ونافع ما ليس لهما ، من ذلك، ما ورد في (التوحيد) أن ابن عباس كان يحدث الناس فقال له نافع بن الأزرق : (يا بن عباس تفتى في النملة والقملة صف لنا إلهك الذي تعبده، فاطرق ابن عباس إعظاما لله عز وجل، وكان الحسين بن علي (عليهما السلام) جالسا ناحية، فقال: إلى يابن الأزرق ، فقال: لست إياك أسأل ، فقال ابن العباس

: يابن الأزرق انه من أهل بيت النبوة وهم ورثة العلم فاقبل نافع بن الأزرق نحو الحسين فقال له الحسين : يا نافع إن من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر في ار تماس مائلا عن المنهاج طاعنا في الاعوجاج ضالا عن السبل قائلا غير الجميل يابن الأزرق اصف الهي بما وصف به نفسه واعرفه بما عرف به نفسه لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس فهو قريب غير ملتصق وبعيد غير منقص بوحد ولا ببعض معروف بالآيات موصوف بالعلامات لا اله إلا هو الكبير المتعالي)^(٣) وشبيه هذا منسوب

(١) ينظر : ٥٧٣ / ٤ .

(٢) ينظر سبل السلام لابن حجر العسقلاني : ١ / ٦٦ .

(٣) التوحيد للصدوق : ٨٠ .

إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع اليهود^(١) وروى الصدوق أن نافع بن الأزرق سأل أبا جعفر - عليه السلام - فقال : أخبرني عن الله متى كان ؟ فقال : منى لم يكن حتى أخبرك متى كان؟ سبحان من لم يزل ولا يزال فردا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا^(٢) ، ويبعد هذا؛ لأن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) ولد سنة (٦٠ هـ)^(٣) ، فكان عمره (عليه السلام) عند مقتل نافع بن الأزرق (٦٥ هـ) خمس سنوات ووالده الإمام زين العابدين (عليه السلام) كان موجودا فقد توفي سنة (٩٥ هـ)^(٤) ، فكيف يكون إمام عصره وبسأل والأمام زين العابدين حي؟ وروى ابن جرير الطبري أن نافعا قال لابن عباس : (تزعم أن قوما يخرجون من النار وقد قال الله تعالى: (وما هم بخارجين منها) (المائدة: ٣٧) ، فقال ابن عباس ويحك اقرأ ما فوقها هذه للكفار)^(٥) ، أما القرطبي فقد نسب هذه الرواية إلى جابر بن عبد الله بقوله : قال يزيد الفقير قيل لجابر بن عبد الله إنكم أصحاب محمد تقولون إن قوماً يخرجون من النار والله تعالى يقول: ما هم بخارجين منها) فقال جابر : إنكم تجعلون العام الموطأ والخاص عاما إنما هذا في الكفار خاصة)^(٦).

(١) ينظر تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني : ٩/ ٣٥١.

(٢) ينظر المصدر نفسه : ٧/ ٢٦٨.

(٣) جامع البيان : ٦/ ٣١٠ وينظر الدر المنثور : ٣/ ٧٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٦/ ١٥٩.

(٥) ينظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني : ١٣/ ٣٠١.

(٦) الكافي : ١/ ٨٨ وينظر التوحيد : ١٣٧ . وروضة الواعظين للقتال النيسابوري : ٢٠٤ وبحار الأنوار : ٣٣/ ٤٢٥.

٤-تتقاطع الروايات في المعلومة في المسألة الواحدة من ذلك ما نقله ابن جرير عن ابن عباس قال: كل القرآن اعلمه إلا حنانا والأواه والرقيم) وقال السيوطي : اخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير أنه سئل عن قوله تعالى: (وحنانا) من لدنا) (مريم : ١٣)، فقال : سألت عنها ابن عباس فلم يجب عنها شيئاً) ، وفي موضع آخر نقل السيوطي في مسائل نافع أن ابن عباس قال: (رحمة من عندنا، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ ، قال : نعم ، أما سمعت طرفة بن العبد يقول:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشراهن من بعض؟

فأين كان ابن عباس من هذا البيت لطرفة عند سؤال سعيد بن جبير؟ وعند سؤاله عن (الوسيلة) (المائدة: ٣٥) ، (قال سفيان الثوري عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس: القرية) أما في المسائل فقد قال نافع: بابن عباس ، اخبرني عن قول الله عز وجل: (وابتغوا إليه الوسيلة) الحاجة ، قال: أو تعرف العرب ذلك؟ قال: أما سمعت عنتره العبسي وهو يقول:

أن الرجال لهم إليك وسيلة
أن يأخذوك تكحلي وتخضبي؟

مسائل نافع بن الأزرق بين الحقيقة والاسطورة مشترك

وفي قوله تعالى : (لافيها غول) (الصافات : ٤٧) قال : (صداع)^(١)، أما في المسائل فقد قال : ليس فيها نتن ولا كراهية كخمر الدنيا)^(٢) ، وورد في صحيح البخاري عن ابن عباس (سميا مثلا)^(٣) ، وفي المسائل قال : أخبرني عن قوله تعالى : هل تعلم له سميا (مريم : ٦٥)، قال : ولدا

أما سمعت قول الشاعر :

أما السمي فأنت منه مكثر
والمال فيه تغتدي وتروح^(٤)

وفي لسان العرب أن أبا حمزة روى عن ابن عباس (رضي الله عنهما) في قوله تعالى : (بنين وحفدة) (النحل : ٧٢) قال : من أعانك فقد حفدك^(٥)

وفي المسائل أن (حفدة) هم (ولد الولد)^(٦) .

٥- كثرة الوضع ، لأجل انتشار بضاعة هؤلاء الوضاعين ، وهي دلالة على علو شأن ابن عباس بين المسلمين ، أو لأغراض سياسية ؛ المداراة أرباب الحكم العباسيين وتقربا منهم فلم يرو البخاري إلا مسائل قليلة، وهي كما رأينا لا تتجاوز بضع مسائل في المتشابه ، وأوردها الطبراني

(١) ينظر الإتيان: ٣٢١/١.

(٢) لسان العرب لابن منظور : ١٥٣/٣.

(٣) جامع البيان : ٢٣/٥٣، وينظر الجامع لأحكام القرآن : ١٥/٧٩ و الإتيان: ٣٢٧/١.

(٤) الإتيان: ٣٥٢ /١.

(٥) ينظر : ١٣٧/٤.

(٦) الإتيان: ٣٢١/١.

مسائل نافع بن الأزرق بين الحقيقة والاسطورة مشترك

في معجم^(١) والطبري^(٢) ، وهي لا تتعدى الصفحتين كما قال الذهبي^(٣) ، وذكر ابن حجر العسقلاني أن البخاري لم يخرج من أحاديث ابن عباس في التفسير وغيره سوى مائتين وسبعة عشر حديثاً^(٤) .

٦- عرف عن ابن عباس توضيحه بعض مفردات القرآن التي جاءت بغير لهجة قريش ، من ذلك في تفسيره قوله تعالى (وانتم سامدون) (النجم: ٦١) قال : (الفناء، وهي يمانية)^(٥) وفي قوله تعالى (بعلا) (الصافات: ١٢٥) قال: (ربا بلغة أهل اليمن)^(٦) ، وفي قوله تعالى: (في الكتاب مسطورا) (الإسراء: ٥٨) قال: (مكتوبا، وهي لغة حميرية)^(٧) وفي قوله تعالى : بورا) (الفرقان : ١٨) ، قال : (هلكن، بلغة عمان)^(٨) وفي قوله تعالى: (فلقبوا) (ق: ٣٦) ، قال : (هربوا، بلغة اليمن)^(٩) (لا يلتكم) (الحجرات : ١٤) ، قال لا ينقصكم ، بلغة بني عبس) وفي قوله

(١) ينظر جامع البيان : ٦ / ٣١٠ و ١٦/١٣٦ و ١٩/١٧٥ و ٢١/٢٦ .

(٢) ينظر سير أعلام النبلاء : ٤٨٦/١ .

(٣) ينظر مقدمة فتح الباري: ٤٧٦ - ٤٧٧ .

(٤) ينظر الإتيان: ١/١٣٣ .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) ينظر المصدر نفسه .

(٧) المصدر نفسه .

(٨) المصدر نفسه .

(٩) المصدر نفسه .

مسائل نافع بن الأزرق بين الحقيقة والاسطورة مشترك

تعالى: (مراغما) (النساء: ١٠٠) قال: منفسحا ، بلغة هذيل^(١) ، فبعضها ورد في مسائل نافع والبعض الآخر لم يرد.

ولم نره يستشهد بببيت شعري في التفسير في جميع المصادر التي اعتمدت عدا المسائل، ولا ننفي بكلامنا هذا احتجاجة بالشعر في تفسيره بعض المفردات القرآنية، بل في اغلب الظن أن تفسيره بعض المفردات القرآنية واحتجاجة بالشعر قد سلخت عن مواضعها وجمعت في موضع واحد ورتبت هذا الترتيب المفتعل بدلا من مسائله الحقيقية.

وابن عباس يستخدم صيغ الجمع في خطابه عند حث السائلين على (فان الشعر ديوان العرب)^(٢) ، وذكر ابن الأنباري أن علي بن زيد بن جدعان قال : سمعت سعيد بن جبير ويوسف بن حرمان يقولان: سمعنا ابن عباس يسأل عن الشيء بالقرآن فيقول: هكذا وهكذا اما سمعتم الشاعر يقول : كذا وكذا^(٣) ويبدو من ذلك أن السائل لم يكن واحداً أو اثنين حسب ما ذكره رواية المسائل فالسائل فيها نافع أو هو ونجدة الحروري ، فان كان المخاطب واحداً أو اثنين لاستخدم صيغة المفرد أو المثني، لكن كلامه يدل دلالة قاطعة على أن المسلمين كانوا يسألونه كثيراً ، فدلهم على سبيل إدراك ما يشكل عليهم بالرجوع إلى لغتهم وشعرهم ، وأين الأبيات التي احتج بها في تفسيره؟

(١) إيضاح الوقف والابتداء : ٦٢/١ .

(٢) المصدر نفسه: ٦٢/١ والجامع لأحكام القرآن : ٢٤/١ .

(٣) المصدر نفسه .

٧- أغلب المفردات ليست غريبة على ابن عباس كي يخرجه نافع عند سؤاله عنها، والكثير منها جاءت في أحاديث للنبي (صلى الله عليه وآله) وأصحابه والدلالة واحدة أي في الأحاديث والمسائل فأغلبها من اللغة المشتركة بين القبائل، أما المفردات التي تعود إلى قبائل غير قريش فهي قليلة في تفسيره ونسبها إلى قبائلها، فمن المفردات التي وردت في المسائل (الغسق) جاءت في أحاديث للرسول (صلى الله عليه وآله) وعائشة وأبي بكر وعمر^(١) ، و (يحرور) في حديث لعائشة^(٢) ، و (زعيم) في حديث للنبي (صلى الله عليه وآله)^(٣) ، و (استوسق) في حديثين للنبي (صلى الله عليه وآله)^(٤) ، و (كظم) في حديثين^(٥) ، و (إثم) في أحاديث كثيرة^(٦) ، وكذلك احتجاجه بشعر عمر بن أبي ربيعة وحسان بن ثابت، فأغلب الألفاظ معروفة في البيئة الحجازية، والبعض الآخر معروف عند الأدباء والشعراء ، وابن عباس وابن الأزرق أعلى شأنًا من الكثير من الشعراء في العلم والإطلاع على لغات العرب فكيف يُسأل عنه تعنتًا لا تفهما ونافع أدري بثقافة ابن عباس اللغوية والأدبية؟

(١) ينظر المصدر نفسه.

(٢) ينظر المصدر نفسه

(٣) ينظر لسان العرب: ٣٨٨/١.

(٤) ينظر المصدر نفسه : ٢١٧/٤.

(٥) ينظر المصدر نفسه: ١٥٢ /٧.

(٦) ينظر المصدر نفسه.

الخاتمة :

بدأ تفسير غريب القرآن الكريم في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وتابعه الصحابة في ذلك، وبرع منهم ابن عباس ، وكان أبرزهم؛ لما يمتلكه من ثقافة لغوية وذوق أدبي رفيع.

وأشهر ما نسب إليه فيه مسائل نافع بن الأزرق) ، وقد بدت فيها علائم الصنعة والتكلف ، وابرز الدلائل التي تؤكد ذلك:

١- ان نافع بن الأزرق كان فقيه قومه وسؤاله لابن عباس كان تعنتاً لا تفهما.

٢ - المسائل التي رواها البخاري لا تتجاوز الصفحتين وهي مسائل في المحكم والمتشابه والتأويل لافي الغريب كالذي نجده في المسائل التي حوث (٢٥٠) مسألة.

٣-الخلط بين الروايات، ونسبة ما للآخرين إلى ابن عباس ونافع بن الأزرق.

٤ -كثرة الوضع لتصريف بضاعة الوضاعين، أو لاغراض سياسية ، ولم يرو البخاري لابن عباس غير مئتين وسبعة عشر حديثاً في التفسير

وغيره فكيف وصلت إلى (٢٥٠) مسألة في الغريب وحده؟

٥- تناقض المعلومة واختلاف المعنى في المسألة الواحدة عند الرواة.

٦- اشتهر ابن عباس يشرح بعض المفردات القرآنية ونسبتها إلى قبائلها للمسلمين ويستخدم صيغة الجمع في خطابه ولم تشر جميع المصادر إلى انه خاطب نافع بن الأزرق فيها وبعضها ورد في المسائل والبعض الآخر لم يرد، وما ورد منها في المسائل قد احتج لها بالشعر.

٧- اغلب المفردات في المسائل ليست غريبة على بيئة ابن عباس والكثير منها جاء في احاديث للرسول (صلى الله عليه وآله) والصحابة.

مسائل نافع بن الأزرق بين الحقيقة والاسطورة مشترك

والشعر العربي متداول بين القبائل العربية والكثير منهم حفظة ورواة له، فمن غير المعقول أن مثل ابن عباس ونافع بن الأزرق يخفى عليهما الشعر، واللغة العربية النموذجية المستخدمة فيه، وهي اللغة الموحدة المعروفة عند المتقنين من العرب حينذاك.

لذا يمكننا القول أن المسائل استلقت من تفسير ابن عباس وشرحه لألفاظ القرآن ونظمت على شكل أسئلة وبالصورة التي رواها السيوطي ونسبت إلى نافع بن الأزرق ، والله أسأل التوفيق.

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم .
- ٢-الإتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) المكتبة الثقافية - بيروت ١٩٧٣ .
- ٣-أسد الغابة ابن الأثير (ت ٣٦٠هـ) - انتشارات اسماعيليان - طهران .
- ٤-الاصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) -تحقيق الشيخ عادل احمد عبد الموجود - ط ١-١٤١٥هـ - دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٥-الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق. د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء - دار المعارف بمصر .
- ٦-الاعلام - خير الدين الزركلي (ت - ١٤١٠هـ) - مطبعة دار العلم للملايين - بيروت طه.
- ٧- الأغاني - أبو الفرج الأصبهاني - مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة - ١٣٧١هـ.

- ٨- إيضاح الوقف والابتداء - أبو بكر بن الأنباري - دمشق - ١٩٧١ م.
- ٩- بحار الأنوار - محمد باقر المجلسي (ت ١١١١ هـ) مؤسسة الوفاء - ط ٢ - بيروت - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ١٠- تاريخ بغداد أو مدينة السلام أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (٤٦٣ هـ) تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ط دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧ هـ.
- ١١- تفسير الثعالبي المسمى الجواهر الحسان في تفسير القرآن عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبو زيد الثعالبي المالكي (ت ٨٧٥ هـ) تحقيق الدكتور عبد الفتاح أبو سنة - الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - دار إحياء التراث العربي - ١-١٤١٨ هـ.
- ١٢- تفسير القرآن الكريم - أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) - دار المعرفة بيروت - ١٤١٢ هـ.
- ١٣ - تهذيب التهذيب - ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) - ط ١١ - دار الفكر - ١٤٠٤.
- ١٤ - لتوحيد - الشيخ الصدوق (٣٨١ هـ) - تحقيق السيد هاشم الحسيني الطهراني - ١ - جماعة المدرسين تم - ١٣٨٧ هـ.
- ١٥ - جامع البيان عن تأويل أي القرآن - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ) ضبط وتوثيق وتخريج صدقي جميل العطار - دار الفكر - بيروت ١٤١٥ هـ.
- ١٦ - الجامع لأحكام القرآن - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأتصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ) - ١٤٠٥ هـ - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

مسائل نافع بن الأزرق بين الحقيقة والاسطورة مشترك

- ١٧ - الدر المنثور وبهامشه تفسير بن عباس - جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) - مطبعة الفتح - جدة - ١٣٦٥ هـ.
- ١٨ - روضة الواعظين - محمد بن القتال النيسابوري (ت ٥٠٨ هـ) تحقيق السيد محمد مهدي السيد حسن الخرساني - منشورات الرضي - قم - إيران.
- ١٩ - سوالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس - تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي مسئل من جملة (رسالة الإسلام) - العددان الخامس والسادس - السنة الثانية .
- ٢٠ - سبل السلام - الإمام محمد بن إسماعيل الكحلاني (ت ١١٨٢ هـ) ط مطبعة البابي الحلبي وأولاده - مصر - ١٣٧٩ هـ.
- ٢١ - سير أعلام النبلاء - الذهبي (٧٤٨ هـ) تحقيق شعيب الأرنؤوط - حسين الأسد - طه - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٣ هـ.
- ٢٢ - شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦ هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار إحياء الكتب العربية - بيروت.
- ٢٣ - صحيح البخاري - محمد ابن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) - دار الفكر - بيروت.
- ٢٤ - فتح الباري شرح صحيح البخاري - الإمام ابن حجر العسقلاني - ات ٨٥٢ هـ) - مطبعة دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - ط ٢.
- ٢٥ - قاموس الرجال محمد تقي التستري - مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي - جماعة المدرسين قم.
- ٢٦ - الكافي - الشيخ الكليني (ت ٣٢٩ هـ) تحقيق على أكبر غفاري مطبعة الحيدري ط ٢ - ١٣٨٨ هـ.

مسائل نافع بن الأزرق بين الحقيقة والاسطورة مشترك

- ٢٧ - كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير احمد بن عبد الحلیم بن تيمية (٦٦١ - ٥٧٢٨) تحقيق عبد الرحمن محمد قاسم النجدي - مكتبة ابن تيمية.
- ٢٨ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) مطبعة البابي الحلبي - القاهرة - ١٩٧٢.
- ٢٩ - كشف الخفاء ومزيل الإلباس - إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (ت ١١٦٢ هـ) (٢٥ - ١٤٠٠٨ هـ).
- ٣٠ - لسان العرب - ابن منظور ت ٧١١ هـ) - ط ١ - دار إحياء التراث العربي - ١٤٠٥ هـ.
- ٣١ - مذاهب التفسير الإسلامي، اجنتس جولد تسيهر - مكتبة الخانجي - مصر - ١٣٧٧٢ هـ - ١٩٥٥ م.
- ٣٢ - مستدرک الحاكم - محمد بن محمد الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ).
- تحقيق الدكتور يوسف المرعشي - دار المعرفة - بيروت - ١٤٠٦ هـ.
- ٣٤ - مجمع البيان في تفسير القرآن - امين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٥٦٠) - تحقيق لجنة من العلماء والمحققين الاخصائيين - طا مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - بيروت ١٤١٥ هـ
- المصنف - عبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١ هـ) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي - المجلس العلمي
- ٣٥ - معجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخاري - محمد فؤاد عبد الباقي دار المعرفة للطباعة والنشر - ط ٢ بيروت.